تساؤلات في عيادة بيرلمان

صلاح حاوي(*)

تقديم

منذ أكثر من ثلاثة عقود ونحن ندخل منزل الحجاج "البلاغي" ونطيل الزيارةَ في أروقته، ونرافق صاحبَ المنزل "شاييم بيرلمان" طويلًا في رحلة الكتابة عن تقنيات الحجاج وسبل المحاججة، ثمّ نستضيفه في الثقافة العربية، حتى صار صديقًا حميمًا للبحث البلاغي العربي المعاصر، وللمعنيين بدرس الحجاج لسانيًّا وبلاغيًّا وفلسفيًّا، ثمّ تطورت العلاقة مع البحث الحجاجي عند بيرلمان وصُنّفتْ بعضُ الأفكار والاستدعاءات من المسلمات، فلا يمكن الخوض في تفاصيلها أو توجيه التساؤلات لها، وبدأنا نفقد آلية العدّ والفرز في مكتبتنا البلاغية واللغوية والنقدية للتراكم المعرفي الذي يتبنى تلك التقنيات الحجاجية بوصفها -كما يعتقد الكثير من الباحثين العرب- عماد الفكر الفلسفي والبلاغي عند بيرلمان.

لكنّ من حقِّ الصديق على صديقِه أنْ يفكر في عيادته مرة أخرى ويقدم له تساؤلات قد نتداولها في مجالسنا ومسامراتنا الحجاجية، لكنّها تساؤلات مؤجلة، فثمة ثناءٌ مستمرٌ على المألوف، يقابله حرجٌ في تداول المغيَّب، ونحن لا نعرف كثيرًا عن ضيفنا الدائم بيرلمان سوى أنه قدّم مقترحًا لدراسة الحجج في الخطابات، فذهب الباحث العربي -ونحن منه- إلى تلك التقنيات ووضعها في قوالب جاهزة تصلح لكلِّ شيء كما يعتقد، لكنّنا لم نفكر في بيرلمان، لماذا اهتمَّ بالحجاج؟ وكيف كان يفكر؟ وما نماذجه المقترحة للتحليل؟ وما نظريته في المعرفة التي جعلته ينتقل من المنطق الصارم الى البلاغة الممكنة؟

(*) أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب، جامعة البصرة – العراق.